

شعرية العنوان في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر

أ/ هاشمي قشيش

إشراف أد/ عبد الوهاب ميراوي

جامعة وهران 1.

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى توضيح أهمية العنوان في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر إذ أنه يعد من الظواهر النصية المفكر فيها، والتي أعاد النقد الجديد استكشافها نظرا لما تكتسبه هذه الظاهرة النصية من أهمية بالغة، تتمثل في كيفية الولوج إلى معالم النص الشعري الجزائري المعاصر، واكتشاف مخبوءاته من جهة، و إعادة الاعتبار لهذه الظاهرة النصية في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر من جهة أخرى والوقوف عند ما يميزها و يعين طرائق اشتغالها.

الكلمات المفتاحية: العنوان، البنية النصية، العتبات، الخطاب الشعري، الشعرية، الوظيفة

Abstract:

The current study's main objective is to clarify the importance of the 'title' in the Algerian contemporary poetic discourse as it is considered to be one of the thoroughly contemplated textual phenomenon is being re-explored by modern criticism for its extreme prominence which grants a colorful access to Algerian contemporary poetry and re-veal its aspects from one hand, and to unveil its characteristics and mechanisms from the other hand.

توطئة

تعتبر العتبات إحدى الظواهر النصية التي كان قد طواها النسيان ردحا من الزمن، سواء تعلق الأمر بالعتبات الواقعة على الصفحة الأولى من النص الأدبي (الغلاف والصورة المرافقة له، اسم المؤلف، العنوان، التعيين الجنسي) أو بالعتبات الواقعة داخل النص الأدبي نفسه (الإهداء، المقدمات، العبارات التوجيهية، التنبهات، الهوامش، التذييل، ...) بالإضافة إلى كل ما يثبت في الصفحة التي تسبق المقدمة. لكن تطور الممارسة النقدية وانفتاحها على آفاق بحثية جديدة من جهة، وتكاثف

العمل والانشغال بهذه المواضيع النقدية المستجدة الذي راح يتقوى بفعل الثقافة من جهة أخرى، جعل الاهتمام بخطاب العتبات النصية أمراً ضرورياً، لولوج عوالم هذا الفضاء النصي الذي يزخر به كل خطاب أدبي (شعر/نثر) بغية استكشاف بنياته، وتحديد وظائفه، والبحث عن رهاناته النصية الخفية.

العنوان والخطاب الشعري:

يعدّ العنوان في النص الشعري الجزائري المعاصر من بين العتبات النصية التي تجاوزت البساطة المعهودة التي كان يحلو للكثير من النقاد التقليديين وسمها بها، حيث تحول من مجرد علامة نصية أو الأخرى عتبة نصية صماء، بكفاء، خالية من التشويق والإثارة، إلى علامة خطافية أدبية غنية بالدلالات، "لأن العناوين، هي رسائل مسكوكة، مضمنة بعلامات دالة، مشبعة برؤية للعالم، يغلب عليها الطابع الإيحائي"⁽¹⁾ وإلى ملفوظ إشاري إحصائي ذكي التبلور، مملوء بالرموز والدلالات، علامة نصية تحمل داخل طياتها ما يدعو للاستفزاز، جديدة بالبحث والدراسة، لكونها وبساطة العتبة الأولى التي من خلالها يمكن الولوج إلى معالم النص واكتشاف مكوناته بل " صار أبعد من ذلك بكثير. وأضحى علاقته بالنص بالغة التعقيد. إنه مدخل إلى عمارة النص، وإضاءة بارعة وغامضة لأبعائه وممراته المتشابكة (...). لقد أخذ العنوان يتمرّد على إهماله فترات طويلة، وينهض ثانية من رماده الذي حجبته عن فاعليته، وأقصاه إلى ليل من النسيان"⁽²⁾ والفضل يعود إلى رواد الإبداع الأدبي الجزائري المعاصر الذين راحوا يتعاملون مع هذه العتبة النصية بكل عناية واهتمام خاصة في إنتاج الخطاب الشعري الجزائري المعاصر حيث "الشاعر يصطدم بتمنع عوالم يبينها انطلاقاً من لغة تعبيرية محتجبة في دلالاتها ومتحولة في معانيها ومتداخلة في مقاصدها، بذلك يواجه سؤال العنوان مواجهة ليست أقل صعوبة من مواجهته لسؤال الإبداعية ذاتها وهي تعانده وتراوغه قبل أن تسمح له بولوج بعض منافذها في لحظات سديمية غامضة"⁽³⁾ لأن العنوان في الخطاب الشعري له خصوصياته المائزة، والعنوان الشعري ليس هو بالبساطة التي ينتقى بها العنوان في الأجناس الأدبية الأخرى.

شعرية العنوان في الخطاب الشعري

يرد العنوان في الخطاب الشعري المعاصر موازيا لبنية النص حيث "لم يعد مرشدا نتعدها إلى غيره، لقد أصبح حلقة أساسية ضمن حلقات البناء الاستراتيجي النصي، وأصبح بالإمكان أن نتحدث عن شعرية للعنوان كحديثنا عن شعرية النصوص المعروضة بعد العنوان"⁽⁴⁾ ومن هنا ندرك قيمة العنوان و شعريته على الرغم من صغر المساحة الكتابية التي تشغلها بنيتها إلا أنها تحمل الكثير من الإيحاءات والتأويلات التي يمكن من خلالها فتح الكثير من مغالق الخطابات الشعرية المعاصرة، كما يمكننا الكشف عن مخزونها الدلالي العميق الذي لا يمكن أن يظهر بسهولة لولا " أن يراعي الدارس وظيفة العنوان في تشكيل اللغة الشعرية ليس فقط من حيث هو مكمل ودال على النص، ولكن أيضا من حيث هو علامة لها بالنص علاقات اتصال وانفصال معا."⁽⁵⁾ علاقة اتصال بصفته بنية نصية لما لها من قيمة دلالية نستطيع من خلالها الكشف عن الخطاب الشعري برمته، و باعتبارها أول مثير أسلوبى تصطدم به عين القارئ في قراءته للنص الابداعي من جهة، ومن جهة أخرى تكشف عن وعي الشاعر المعاصر وثقافته وسعة معلوماته واحتكاكه باللغة الشعرية للعنونة التي منطلقها من "مقطع لغوي، أقل من الجملة، أو نصا أو عملا فنيا"⁽⁶⁾ ليس منقطعا عن الخطاب الشعري الموجه نحو الغير، أو إشارة مكثفية بذاتها، بل هو دائما مفتاحا للولوج إلى هذا الخطاب الشعري وفك مغاليقه، لا يمكن الإغفال عنه سواء من قبل الشاعر بصفته صاحب الاختيار لهذه الظاهرة النصية، وبالنسبة للمتلقي بصفته الكاشف عن الدلالات المخبوءة في نسيجها.

يعتبر العنوان أيضا علامة لها بالخطاب الشعري الجزائري بصفة عامة والشعري الجزائري المعاصر بصفة خاصة علاقة انفصال "باعتباره يشتغل كعلامة لها مقوماتها الذاتية كغيرها من العلامات المنتجة للمسار الدلالي الذي نكوّنه ونحن نؤول النص والعنوان معا"⁽⁷⁾ فالعنوان عبارة عن صيغة مطلقة للخطاب الشعري و كليلته الفنية والمجازية. فهذه الظاهرة النصية لا تتم ولا يكتمل مدلولها إلا بجمع الصور المشتتة وتجميعها من جديد في بؤرة لموضوعات عامة تصف الخطاب الشعري بصفته عمل أبداعي، وتسمه بالتواتر والتكرار والتوارد. وعليه نكتشف أن هذه البنية النصية(العنوان) بمثابة الكلية الدلالية أو الصورة الأساسية أو الصورة المتكاملة التي يستحضرها المتلقي أثناء التلذذ والتفاعل مع شعرية وأدبية الخطاب الشعري المعاصر. وعليه نجد "العنوان في هذه الحالة حتى ولو كان مجرد

علامة ترقيم، فإنه يحدث أثرا بالغا في المتلقي قد يشده إليه ليتأمله صارفا إياه لبعض الوقت عن الانتقال إلى القصيدة"⁽⁸⁾ فتكتمل بذلك علاقة الانفصال وهي في حينها علاقة اتصال.

وظائف العنوان

يتصل العنوان بالخطاب الشعري اتصالا عضويا، باعتباره المولد الحقيقي الذي ترهن به ولادة هذا الخطاب الشعري، كما يبدو في حقيقة الأمر الرحم الحصب الذي ينمو فيه النص، ويتحرك من خلاله الخطاب الشعري، وعليه يمكن القول أن العنوان أصبح في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر "ضرورة ملحة ومطلبا أساسا لا يمكن الاستغناء عنه في البناء العام للنصوص، لذلك ترى الشعراء يجتهدون في رسم مدوناتهم بعناوين يتفننون في اختيارها، كما يتفننون في تنميقها بالخط والصورة المصاحبة... وذلك لعلمهم بالأهمية التي يحظى بها العنوان"⁽⁹⁾ ونظرا لأهمية العنوان بصفته ظاهرة نصية "فيجب ان لا ننظر إلى عنوان مقطع خطابي ما على أنه يساوي موضوع ذلك المقطع، بل هو تعبير ممكن واحد عن ذلك الموضوع... وان أفضل طريقة لوصف وظيفة عنوان خطاب ما هي كونه أداة إبراز لها قوة خاصة"⁽¹⁰⁾ ذلك يثبت أن اختيار العنوان لا يكون عادة اختيارا اعتباطيا، بل يخضع للمنطق الدلالي والجمالي، "العنوان في القصيدة - أية قصيدة - هو آخر ما يكتب منها والقصيدة لا تولد من عنائها، وإنما العنوان هو الذي يتولد منها، وما من شاعر حق إلا و يكون العنوان عنده هو آخر الحركات، وهو في بذلك عمل في الغالب عقلي"⁽¹¹⁾ يجعل من عتبة العنوان عتبة أصيلة بالغة الأهمية.

ينظر للعنوان ضمن الخطاب الشعري عموما الجزائري خصوصا المعاصر على أنه علامة لغوية وسيميائية غالبا ما تتصدر الخطاب الشعري، تحمل في طياتها وظائف متعددة ومتنوعة تتمثل في وظيفة تعيينية ومدلولية، ووظيفة تأشيرية أثناء تلقي النص والتلذذ به تقبلا وتفاعلا، كما يمكن للعنوان أن يؤدي أدوار ووظائف متنوعة نظرا للموقع الاستراتيجي الذي يتمتع به، حتى صار استقلال العنوان عن نصه استقلالا لا ينفي علاقته به، بقدر ما هو ناف لاختزال هذه العلاقة في وظيفة أحادية الاتجاه من العنوان إلى العمل فيما يشبه الاحالة الآلية، لذلك حدد النقاد والباحثون وظائفها مختلفة للعنوان، لكن هذه الوظائف رغم اختلافها نجدها نفتقر لعنصر الترابط و" افتقار هذه الوظائف مجتمعة إلى عنصر الترابط، بحيث إن عنوانا معيناً يمكنه أن يحدد هوية العمل وأنجاز فعل

مجلة كلية الآداب واللغات / جامعة خنشلة — العدد الثاني

التسمية، كما يمكن أن يغوي الجمهور القارئ، من خلال ما يقترحه من صياغة أسلوبية واستعارية فائنة، دون أن تكون له ذات القدرة على تعيين مضمون العمل. بهذا المعنى، يمكن أن تقفز بعض العناوين الفائنة عن الوظيفة الثانية تاركة قارئها أمام خيار مواجهة العمل مباشرة، أو الاستعانة بنصوص موازية أخرى من أجل تعيين مضمونه⁽¹²⁾ فيكشف كل ذلك عن مبدأ الوظيفة الشاغرة.

يسهل في غالب الأمر اختصار وظائف العنوان في الإرشاد والإغراء و الإيضاح، وتزداد هذه السهولة كلما تعلق الأمر بنوع الخطاب السردي الثري والفكري، لكنها سهولة خادعة خاصة في مجال الخطاب الشعري، الذي يعتمد عادة على الأيحاء والإشارة والرمز، لذلك نجد في بعض الأحيان عناوين ليست لها صلة ظاهرة بالموضوع موضوع النص، وأخرى تقتصر على مقطع معين من الخطاب الشعري برمته، وأحداها قد لا تكون مكتملة نحويا. ومآل ذلك هو التعقيد والترميز الخاص بالعنوان في الإبداع الأدبي وبالخطاب الشعري المعاصر، حيث يكمن التفاوت في الإبداع من شاعر إلى آخر، أدى إلى التفاوت في الوظائف وتعددها في العنوان الخاص بالخطاب الشعري المعاصر منه الجزائري بصفة خاصة.

وهذا يعني أن العنوان يمتلك وظائف مختلفة، تجعل منه أكثر فاعلية في إنتاج الدلالة، وبخاصة إذا كان الغرض من العنوان إبراز شاعرية اللغة التي تكون مع النص إما في حالة اتصال أو في حالة انفصال، وهي الحالة التي أكدها عليها كلا من (شارل غريفيل Charles Grivel، وليوهوك Léo. H. Hoek) حيث يتعالق فيها العنوان بنصه اللاحق من خلال الوظائف التي نحملها في ما يلي:

1 وظيفة تعيين العمل.

2 وظيفة تعيين محتوى العمل.

3 وظيفة جذب الجمهور.

لكن (جينيت Genette) وضع هذه الوظائف المذكورة أعلاه موضع مساءلة وتشكيك، من ناحية ترتيبها وتداخلها، ومن ناحية تحققها الفعلي، حيث يرى أنه ليس من الضرورة أن تجتمع هذه الوظائف كلها في عنوان واحد، فمثلا الوظيفة الأولى فعلا هي ضرورية وإلزامية في أي عنوان في حين الوظيفتين المتبقيتين فهما اختياريّتين. كما أكد ضرورة مراعاة وظيفة أخرى شكلية لكي لاتبقى وظيفة تحديد المحتوى مفتقرة لوظيفة تحديد الشكل المقصود به الشكل النوعي (النوع الأدبي)⁽¹³⁾

يخلص (جينيت Genette)⁽¹⁴⁾ بعد هذا تقسيما للعنوان أو الأخرى إلى لائحة أخرى يعتبرها أكثر تنظيما لهذا الحقل، ويختلف في الوقت نفسه مع تقسيم كلا من (شارل غريفيل Charles Grivel، وليوهوك Léo. H. Hoek) يتضمن الوظائف الآتية:

1 الوظيفة التعيينية (التحديدية): وتعريفية وهي في رأيه وحدة ضرورية في الممارسة والمؤسسة الأدبية كما تعتبر إلزامية لأن بموجبها يعين العنوان نصه ويحدد هويته. وتعرف أيضا بوظيفة التسمية لأنها تتكفل بتسمية العمل الذي تسمه، وفيها تشترك "الأسامي أجمع وتصبح بمقتضاها مجرد ملفوظات تفرق بين المؤلفات والأعمال الفنية، بل هي رواسم تنتمي إلى الكتاب ... يشترك في استعمالها الباحث والمؤلف وبياع الكتب والقارئ، كما أنها وظيفة تستوي عندها الأسامي جميعا فلا فرق عندها بين قديم و حديث، وبين عنوان صنعه المؤلف وآخر انتقاه الناشر"⁽¹⁵⁾ وتبدو هذه الوظيفة من خلال دورها أنها لاتنفصل عن باقي الوظائف لأنها دائمة الحضور و محيطه بالمعنى.

2 الوظيفة الوصفية: وهي وظيفة تتوزع بين التحديد التيماتي الخطابي والمختلط، وهي التي عنها ليوهوك Léo. H. Hoek عندما عرف العنوان على أنه " مجموعة من العلامات اللغوية، التي ترد طالع النص لتعيينه وتعلن عن فحواه وترغب القراء فيه"⁽¹⁶⁾ ودور الذي تلعبه هذه الوظيفة هو تقديم الوصف للعنوان وقول شيئا عن موضوعه ونوعه أو جنسه الأدبي أو كلاهما معا، وهي أيضا دائمة الحضور، ولا يمكن الاستغناء عنها.

3 الوظيفة الإيحائية: وهي على صلة وثيقة بسابقتها سواء بحضور مقصدية المؤلف وفي غيابها، وتنطلق من فرضية الحضور الإيحائي ذي الدرجات المتفاوتة، وهي ضرورة الحضور لأن كل عنوان باعتباره ملفوظ له طريقته في الوجود وأسلوبه الخاص، وقد قام (جينيت Genette) بفصلها من الوظيفة الوصفية بعدما كانت مدججة معها على أساس أن العنوان الذي يقوم بالوظيفة الإيحائية ليس "كشافا للمعنى وإنما هو له كثاف، إذ يقوم على توليده في ذهن القارئ أكثر من قيامه على توضيحه، فليست غابته البيان والتبيين وإنما توليد المعنى من رحم النص"⁽¹⁷⁾

4 الوظيفة الإغوائية: وتسمى أيضا بالإغرائية، أو الإشهارية وترتحن في حضورها دونما شك بالوظيفتين السابقتين الوصفية فالإيحائية، وهي الوظيفة التي يستعملها صاحب الابداع الأدبي في

إغراء المتلقي حيث تحدث له تشويق كما تثير فضوله، وحضور أو غياب الوظيفة الإغرائية مرتبط بحضور مستقبلها الذين عادة لا تتطابق أفكارهم وقناعاتهم دائما مع واضع العنوان، الذي أثناء وضعه لعنوانه فهو "يخاطب من القارئ ثقافة وملكات، و يستعمل من اللغة طاقاتها في الترميز، وليس همه التوصل إلى المضمون أو الشكل بقدر ما تعنيه مفاجأة القارئ" (18)

تتحلى بوضوح وظائف العنوان في الشعر الجزائري المعاصر ، حيث يعتمد الشاعر الجزائري المعاصر على الوظيفة الإغرائية وبشكل ملفت للنظر في عناوين دواوينه، لأن العنوان باعتباره العلامة اللسانية الأولى للنص، فهو بقدر ما يثير القارئ ويعطيه دلالات وشحنات، بقدر ما يسعى لمراوغته، لأنه يحقق أكثر من وظيفة وأكثر من غاية لان هذه الدلائل اللغوية التي ظهرت على رأس هذا الخطاب الشعري ظهرت لتدل عليه وتعينه وتشير محتواه الكلي ولتجذب جمهوره المستهدف (19) وسواء كان هذا العنوان كليا خاصا أي مشيرا للديوان برمته، أو كان جزئيا خاصا بالقصائد المترامية في الديوان الشعري، فالوظيفة التي يشتغل عليها تأهله أن يكون عتبة لسانية مضيئة من بين العتبات اللسانية وغير اللسانية المتواجدة على ظهر الديوان، تتحرك بالموازاة مع الخطاب الشعري الرئيس " وتبعا لذلك فلا مفر من قراءات تأويلية معززة بتمظهرات اللغة الشعرية، إن للعنوان في (ذاته) كنص أو للنص كعنوان في(ذاته) أو للعنوان كمناس أو للنص كمناس أو لامتداد طرف في طرف، سواء أتم ذلك بالنسبة للنص الواحد المفرد(القصيدة) أم للنصوص المنتمية لفضاء تدويني معين (القصائد)، وسواء تعلق الأمر أيضا بعنوان المتن الموسع(الديوان مثلا) أم بعنوان المتن الضيق(القصيدة) مثلا أو مقطوعها" (20) لأن كل هذا يحيلنا على أن العنوان ما هو في حقيقة الأمر إلا إحالة على الإحساس الداخلي المتحذر في الشاعر المبدع للخطاب الشعري، لأنه ببساطة" من خلال طبيعته المرجعية والاحالية يتضمن غالبا أبعادا تناصية، فهو دال إشاري، أو إحالي يومي إلى تداخل النصوص، وارتباطها ببعض عبر المحاورة والاستلهام، ويحدد بالتالي نوع القراءة المناسبة له، ويعلن كذلك عن قصدية المنتج، أو المبدع وأهدافه الايديولوجية والفنية، إنه إحالة تناصية، وتوضيح لما غمض من علامات، فهو أذن النواة التي خاط المؤلف عليها نسيج النص" (21)

والأمثلة في الشعر الجزائري المعاصر كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر دواوين الشاعر عزالدين ميهوبي " ديوان في البدء.. كان أوراس، النخلة والمجداف، اللعنة والغفران، كاليغولا"

دواوين الشاعر عبدالله حمادي " ديوان أنطق عن الهوى، البرزخ والسكين، تحزب العشق ياليلي " ديوانا الشاعر يوسف وعليسي " أوجاع صفصافة في مواسم إعصار، تغريبة جعفر الطيار " دواوين الشاعر فيصل الأحمر " مجنون وسيلة، كتاب الرؤى، المعلقات التسع "، دواوين الشاعر عبدالله شكيل " تحولات فاجعة الماء، مراتب العشق مقام سيوان، سهيل البرتقال " دواوين عبد الله العشي " مقام البوح، يطوف بالأسماء " كما تمت الإشارة إليه مسبقا نستطيع القول أن الشعراء في هذه الدواوين تعمدوا اختيار أجمل العناوين صياغة، وأشدها إغراء وغواية، ووضعوها على رأس الديوان متبعين في ذلك "استراتيجية إغرائية قادرة على شدّ انتباه القارئ وحمله على المتابعة" (22) فالعناوين عند الشاعر الجزائري المعاصر " بمثابة الطعم الذي لا يقاوم، والعرض الذي لا يرد، فهو يدعو دعوة ملحة إلى قراءة نصه " (23) غالبا ما يكون في بداية الخطاب الشعري، يحمل في طياته الوظائف التعيينية والمدلولية، والتأشيرية أثناء تلقي الخطاب والتلذذ به تقبلا وتفاعلا.

يشكل العنوان في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر مرآة مصغرة لكل ذلك النسيج الخطابي الموجه للقراءة، وهذا يعني أنه علامة لغوية ضمن علامات أوسع تشكل قوام العمل الإبداعي الذي باعتباره نظاما ونسقا يقتضي أن يعالج معالجة منهجية جعلت من المبدع بدلي قائلًا: " قبل أن يقدم الديوان للنشر يشترط أن تكون القصائد موزعة لهذا الأسلوب وتكتب بهذه الصورة... بل ان هناك من السيميائيين يقولون أن النص يقرأ من عنوانه أحيانا، العنوان يأخذ عند البعض حيزا زمنيا من التفكير أكبر من كتابة الديوان أو القصائد بالتالي هذا العنوان سيظل خالدا لا يموت ولنا في التاريخ كثير من الشواهد حيث يحفظ الناس الكثير من الأعمال دون قراءتها وذلك من عناوينها" (24) أساسها أن دلالة أية علامة لغوية متواجدة في العمل الفني المقدم مرتبطة ارتباطا بنائيا لا تراكميا بدلالات أخرى. ومن ثم فإن العنوان قد يجسد المدخل النظري إلى العالم الذي يسميه، ولكنه لا يخلقه إذ إن العلاقة بين العنوان والنص قد لا تكون مباشرة وهذا الذي يمكن ان نلاحظه في رأس كل ديوان من الدواوين التي أشرنا إليه من قبل.

وما يلفت انتباهنا في دواوين الشعراء الجزائريين المعاصرين التي سنتناول بعضها في الدراسة هو شكل عناوينها الأساسية، نجدها عناوين انزياحية بامتياز تأسر القارئ منذ لحظة تلقيه العنوان،

جاعلة منه متلهف وراء معرفة ما بالديوان وما يحويه من قصائد قصد إشباع رغباته، وفك شفرات هذا العنوان الذي جعل منه الشاعر الجزائري المعاصر مصدر تنبجس منه تساؤلات كثيرة توسع من دائرة التلقي لتطال النصوص المعنونة. لأن هذه العناوين نصفها بالإغرائية التي لا تسلم نفسها بسهولة كونها تعتمد على الإنزياحات اللغوية من حيث التراكيب اللامنتظية.

ففي ديوان "في البدء.. كان أوراس" استعار الشاعر من الكتاب المقدس شبه جملة (في البدء) التي تحيل إلى الانجيل يوحنا 1:1 في الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ⁽²⁵⁾. حتى تكون البداية بداية أول باكورة ابداعية للشاعر عز الدين ميهوبي، لأنه يعتبر "الشعر كلمة.. والكلمة روح ! .. الشاعر.. كلمات مرصوفة في الوجدان! الشاعر.. يكتب لأجل أن تحيا الكلمة.. ويتعذب لأجل أن تكبر الكلمة.. ويموت لأجل أن تخلد الكلمة.. وفي البدء كانت الكلمة! ... هذه باكورة .. جمعت شتات (قصائد سقطت من عاشق للأرض والأوراس.. وضمت إليها.. (قصائد خارجة من عصار الجرح).. وصلت ركعتين في الأقصى.. وعادت مثقلة.. بقصائد(القدس وكلام آخر).."⁽²⁶⁾

في البدء..

عمري .. تساقط أحرفاً

صخريّة.. بين الذرى!

كنت الصنوبر في الشموخ

وكنت أوردة الورى!

إني اعتصرت مواجعي

وكتبت ملحمة الترى!

أوراس يا لغة الزمان..

ويا فما .. متفجرا !

في البدء.. كنت قصيدي..

والبدء .. فيك تجذرا!⁽²⁷⁾

قراءة العنوان رغم مفرداته المتناثرة إلا أنها استطاعت أن تخلق من الوهلة الأولى جوا حميميا ثوريا متوهجا، نابعا من عمق الجرح الميهوبي النائر بأوراسيته المتدفقة، العاشق لأرضه وأرض أجداده، الراض لموز الزمن الفرعوني والإغريقي وأزمة الألوان الموبوءة التي لا تبعث منها رائحة التراب، فتذهب البداية بأفعالها الماضية الدالة على الكينونة، وتبقى الذكريات متأصلة ومتجذرة في قلب التاريخ مهما طال الأمد كأنها كتابا مقدسا. عنوان اندرجت تحته عناوين فرعية تُهلت من عدة مشاريب معرفية منها ما تعلق بالفضاء الجغرافي (وتنفس الأوراس، ثلاثيات أوراس، قصيدة الوطن، الطريق...) ومنها ما تعلق بأبعاد تراجمية حزينة (فواصل حزينة، مرثية أولى للقدس، رحيل القمر الحزين...) ومنها ما أرتبط بحقل القوة (شموخ، كان الصخر وكنت، طلقة أولى..).

تغريبة جعفر الطيار للشاعر يوسف وغليسي عنوان يوحي من قراءته الأولى بأن النص يتحدث عن جعفر بن أبي طالب ومملك الحبشة النجاشي، لكن بعد ذلك نجد أن الشاعر في توظيفه لجعفر الطيار لم يكن توظيفا لذاته وإنما هو مجرد قناع يفضي من خلاله الشاعر بمكونات الذات، حتى وإن كان العنوان يحمل وظيفة وصفية إلا أن هذه الوظيفة الوصفية لا تحافظ على قيمتها الوصفية لأنه بعد القراءة الدلالية للنص الذي ورد بعد العنوان الرئيسي يتضح لنا أن الوصف كان في عصر الشاعر بحد ذاته يوسف وغليسي وليس لعصر جعفر الطيار (جعفر بن أبي طالب)، والأمر عينه مع بقية العناوين الفرعية المتواجدة في طيات الديوان حيث نجدها جلها عناوين تمويهية تحمل دلالات ضمنية يعمل النص إلى كشفها والإعلان عنها كلما تقدمنا في القراءة، حيث تنكشف ذات الشاعر وزمانه والحن التي عاشها فيعتبر الشاعر نفسه نبيا، محمل بالرؤى ومتحمل للعذبات، وحامل لرسالة مقدسة، متمثلة في استرجاع الوطن الضائع

يسألونك عني..

قل إني تشبهت بالنخل؛ ما مت..

ما ينبغي أن أموت!

أتسامى كالروح، فوق الرياح، وفوق الزمان

وفوق المكان، وفوق الحكومة والبرلمان،...

وسوف أحط من الملكوت..

سأعود غداة تزلزل تلك الممالك زلزالها

وجبال الزبربر تخرج اثقالها!

ويعود الحمام إلى شرفات البيوت!... (28)

شعرية العنوان الذي اختاره الشاعر يوسف وغليسي لديوانه تتمثل في الإيحاء الذي يريد الشاعر أن يبلغه للقارئ، والمتمثل في المعاناة التي عاشها ويعيشها داخل مجتمعه، حيث نجد الشاعر المعاصر يعاني غربة الذات داخل مجتمعه، وهذا ما يريده الشاعر يوسف وغليسي كونه شاعرا جزائريا معاصرا أن يكشفه للمتلقي، ويبين له أن هذا النوع من الغربة أقسى، وأشد ألما من غربة البعد والنفي عن الوطن، لأن الغريب عن الوطن يراوده دائما حنين العودة ولو بعد مدة، لكن الغريب في الوطن فيعاني الأمرين، ألم الذات المستمر الناجم عن جرح القريب والبعيد، وألم اليأس الذي غلب عليه طابع الضياع المستمر، فعمد الشاعر إلى هذا العنوان وبالذات حتى يؤلف قناعَ تحاور تعبيرا عن غربته وعن ضياع وتشتت وطنه وأبناء وطنه، فجاء نص العنوان عبارة عن قالب مسرحي في مشهدين. المشهد الأول يسرد من خلاله الشاعر قصة جعفر بن أبي طالب وملك الحبشة النجاشي والمشهد الثاني وهو الرمز أي القناع حيث وضعية الشاعر وسط قوم لجأ إليهم وسخر كل ما يملك لإرضائهم لكن دون جدوى فكان بمثابة جعفر لكنه جعفر طيار.

أنطق عن الهوى عنوان ديوان للشاعر عبد الله حمادي وهو عنوان لأحدى قصائد الديوان وبالظبط القصيدة الأخيرة من الديوان أنتخبه الشاعر لأن يكون العنوان الرئيسي للديوان، وهو يحيل بشكل تناسي إلى الآية الكريمة من سورة النجم "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ" (29) ومن الآية يتبين لنا أن الله عز وجل ينزه نطق نبيه ورسوله أن يصدر عن الهوى، وبهذا الكمال هداه ورشده وقال سبحانه وتعالى: "وما ينطق عن الهوى" ولم يقل: "وما ينطق بالهوى"؛ لأن نفي نطقه عن الهوى أبلغ؛ فإنه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى، وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به؟ فتضمن نفي الأمرين: نفي الهوى عن مصدر النطق، ونفيه عن نفسه، فنطقه بالحق، ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال (30). وعليه تكمن شعرية العنوان المختار من الشاعر عبد الله حمادي ليحسد العملية الإنزياحية والمتمثلة في العدول من المعنى الموجود في الآية الكريمة

إلى العنوان **أنطق عن الهوى** وهنا أثبات الهوى على مصدر النطق به، وإثباته على نفسه، وهو ما يبين إيعاز بالانتقال من الشيء المحظور إلى الشيء المباح، بمعنى أن الذات الشاعرة لا يمكن البتة أن تتصل والذي يجسد مشاعرها وأحاسيسها وانفعالاتها مع الحدث أو الموضوع.

أنطق عن الهوى

وهوى محبوبي

يمشي في الطرقات

أعطي قبلي من تشتهيها... (31)

أنطق عن الهوى فكأنما هي لحظة النطق بالشعر ذلك "الشعر الذي كثيرا ما يعاكس النسقية ويمارس المنافرة البلاغية لتشكيل أنماط جديدة من البدائل والأنساق،... لأن الشعر في جوهره لا ينجم عن الأفكار بقدر ما يصنع من حفيف الكلمات كوجه من وجوه التحدي لمقاصد العقل" (32) وحتى تتحقق شعرية العنوان ينبغي أن تكون ملاءمته الدلالية مفقودة شأنها في ذلك شأن الحفريات التي كثيرا ما يسبقها المؤشر أو العلامة قبل أن يحصل هاجس الظفر بالشيء الجديد.

مقام البوح عنوان رئيسي اختاره الشاعر **عبد الله العشي** لديوانه، تتجلى شعرية هذا العنوان من القراءة الأولى للعنوان حيث التركيب يحيل على حرص الشاعر على بيان أهم شيء في هذا المقام هو البوح، كما يوحي عن علاقة تربط بين طريقي العنوان بعلاقة تواصل أو ترابط، أو تضاد، أو علاقة طردية، أي لكل مقام بوح يميزه عن بقية المقامات الأخرى. والمقام في هذا الديوان متعدد ومختلف لكنه موحد بموضوع البوح الذين نجده مرة، مقام الإعتراف بالشوق وأحاسيس الصدر و خلجات الجنان، ومقام البوح مع حروف الأبجدية العربية، ومقام يخاطب فيه القصيدة التي تبدو في مواضع مولاته التي تتحكم فيه. فتعدد المقامات التي تجمع بين التصوف، والعشق، والمرأة، والكتابة، يؤدي بتعدد القراءات على إختلاف رؤى القراء وتدرج معارفهم.

أوقفني في البوح يامولاتي،

قبضتي، بسطتي،

طويتني، نشرتي،

أخفيتني، أظهرتني،

ومحنت عن غوامض العبارة. (33)

من خلال العنوان مقام البوح والشعرية التي تنبعث منه، يتضح أن عنوان الديوان هو مقام الشاعر بين يدي القصيدة، بين يدي الكتابة الشعرية، يحكي الشاعر الجزائري المعاصر من خلال عنوانه حكايته وعلاقته المباشرة مع الخطاب الشعري، وحالته التي يكون فيها وتجربة الكتابة القدسية لأن الكتابة الشعرية "ألق من التحليّ الرابط بين البدايات والنهايات والرافض لقانون المدّ والزجر، لأنه برزخ يمتد بين الذي كان وسيكون، وإن شئت تحديدا أدق هو اللحظة الهاربة من التحديد ومن التثبيؤ فلا هي بالتلاشي ولا هي بالمحدود" (34)

خاتمة:

وظف الشعراء الجزائريون المعاصرون عناوين دواوينهم بشعرية وأدبية رغبة في شد انتباه القارئ واثارته، حيث لجأ معظم الشعراء عن قصد إلى توظيف أساليب الإغراء المتمثلة في المجاز وصوره المتنوعة، والإنزياح بمحدوده، والايديولوجيا الممتلئة بالدلالة الدينية بالأخص منها الإسلامية والمسيحية، والتي نجدها أخذت حصة الأسد، في صياغتهم لبنيات العناوين ولو على حساب منطقية التركيب، بحيث لو تم الوقوف فقط عند حدود الدلالة المعجمية للمتناقضات لترتب عن ذلك اقتراحها من حدود اللامعقول. كما يمكن التنويه بدور المتلقي في مراعاته لوظائف العنوان من حيث هو علامة لسانية لها علاقة اتصال وانفصال مع الخطاب الشعري وهنا قد تفوق شعرية العنوان شعرية الخطاب.

الإحالات:

- (1) علي جعفر العلاق: (شعرية الرواية)، علامات في النقد، المجلد 6، الجزء 23، السنة 1997، ص: 101.
- (2) جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 25 العدد 3 يناير/مارس 1997، ص: 100.
- (3) رشيد يجاوي، الشعر العربي الحديث، دراسة في المنجز النصي، افريقيا الشرق، بيروت لبنان، ط1998، ص: 107.
- (4) نفسه، ص: 110.

مجلة كلية الآداب واللغات /جامعة خنثلة — العدد الثاني

- (5) نفسه، ص:110.
- (6) سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبيريس ، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص155.
- (7) رشيد يجياوي ، الشعر العربي الحديث، دراسة في المنجز النصي، ص: 110.
- (8) نفسه، ص:111.
- (9) عبد القادر رحيم، علم العنونة دراسة تطبيقية، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا ،ط1، 2010، ص:46.
- (10) ج براون وج يول، تحليل الخطاب، تر م،ل، الزلطني، و م، التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، ط1997، ص:162.
- (11) عبد الله الغدامي، الخطبنة والتكفير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط6، 2006، ص:234.
- (12) نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007، ص:45.
- (13) –voir ; GENETTE (GERARD) :SEUILS .PARIS. ED. SEUIL .1987. P 74
- (14) Voir ; Ibid. P 88
- (15) محمد الهميسي ، براعة الاستهلال في صناعة العنوان، مجلة الموقف الأدبي، العدد313، دمشق، 1997، ص: 118.
- (16) Léo. H. Hoek. La Marque Du Titre. Paris. Mouton. 1982. P 17 .
- (17) محمد الهميسي ، براعة الاستهلال في صناعة العنوان، ص:120.
- (18) نفسه، ص:44.
- (19) ينظر نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، ص:44،45.
- (20) رشيد يجياوي ، الشعر العربي الحديث، دراسة في المنجز النصي، ص: 114.
- (21) بلقاسم دفة، علم السيمياء والعنوان في النص الأدبي، محاضرات الملتقى الوطني الأول السيمياء والنص الأدبي جامعة بسكرة، نوفمبر، 2000، ص:43.
- (22) بسام قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، الأردن، دط، 2001، ص:60.
- (23) عبد القادر رحيم، علم العنونة، ص:234.
- (24) محمد الصالح خرفي، هكذا تكلم الشعراء حوارات شعرية نقدية، دار الأمير خالد، الجزائر، ط2014، ص:142.
- (25) انجيليوجنا1.1-13..php?book..st-takla.org/Bibles/BibleSearch/showVerses
- بتاريخ 2016/10/10

مجلة كلية الآداب واللغات / جامعة خنشلة — العدد الثاني

- (26) عز الدين ميهوبي، في البدء.. كان أوراس، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة الجزائر، ط1، 1983، ص: 09.
- (27) نفسه، ص: 13.
- (28) يوسف وغليسي، تغرية جعفر الطيار، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2003، ص: 41.
- (29) الآية: 3 و4 من سورة النجم.
- (30) ابن القيم الجوزية، بدائع التفسير، الجزء4، ص: 672.
- (31) عبد الله حمادي، أنطق عن الهوى، دار الألفية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2011، ص: 132.
- (32) نفسه، ص: 11.
- (33) عبد الله العشي، مقام البوح، منشورات جمعية شروق الثقافية، باتنة، الجزائر، ط2007، ص: 05.
- (34) عبد الله حمادي، أنطق عن الهوى، ص: 07.